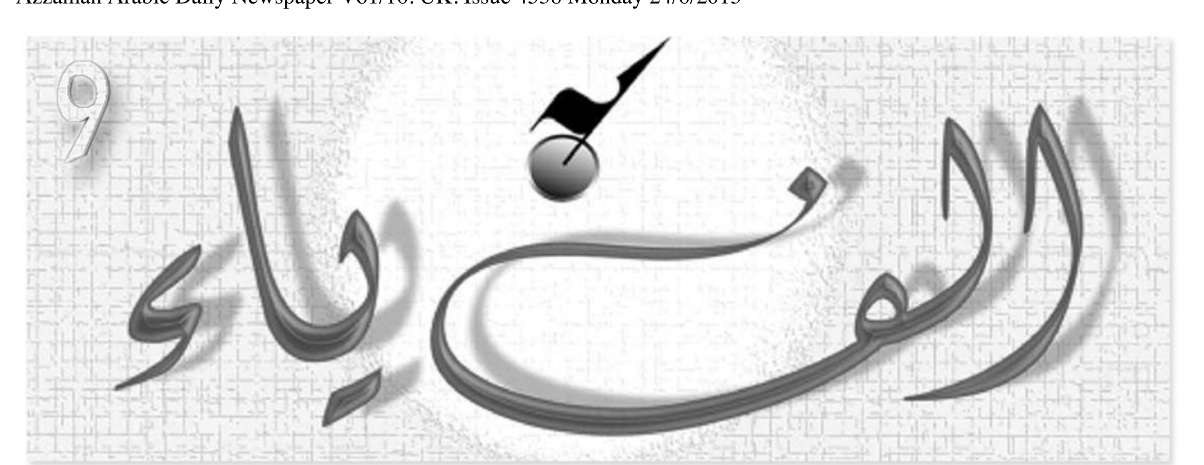
الزمان - السنة السادسة عشرة - العدد 4538- الاثنين 14 من شعبان 1434 هـ 24 من حزيران (يونيو) 2013م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vo1/16. UK. Issue 4538 Monday 24/6/2013



العلامة الدكتور نوري جعفر بين مختبر العلم والسياسة

باحث يفند آراء أفلاطون وكالتون في منشأ الإبداع



د. نجاح هادي كبة

بغداد

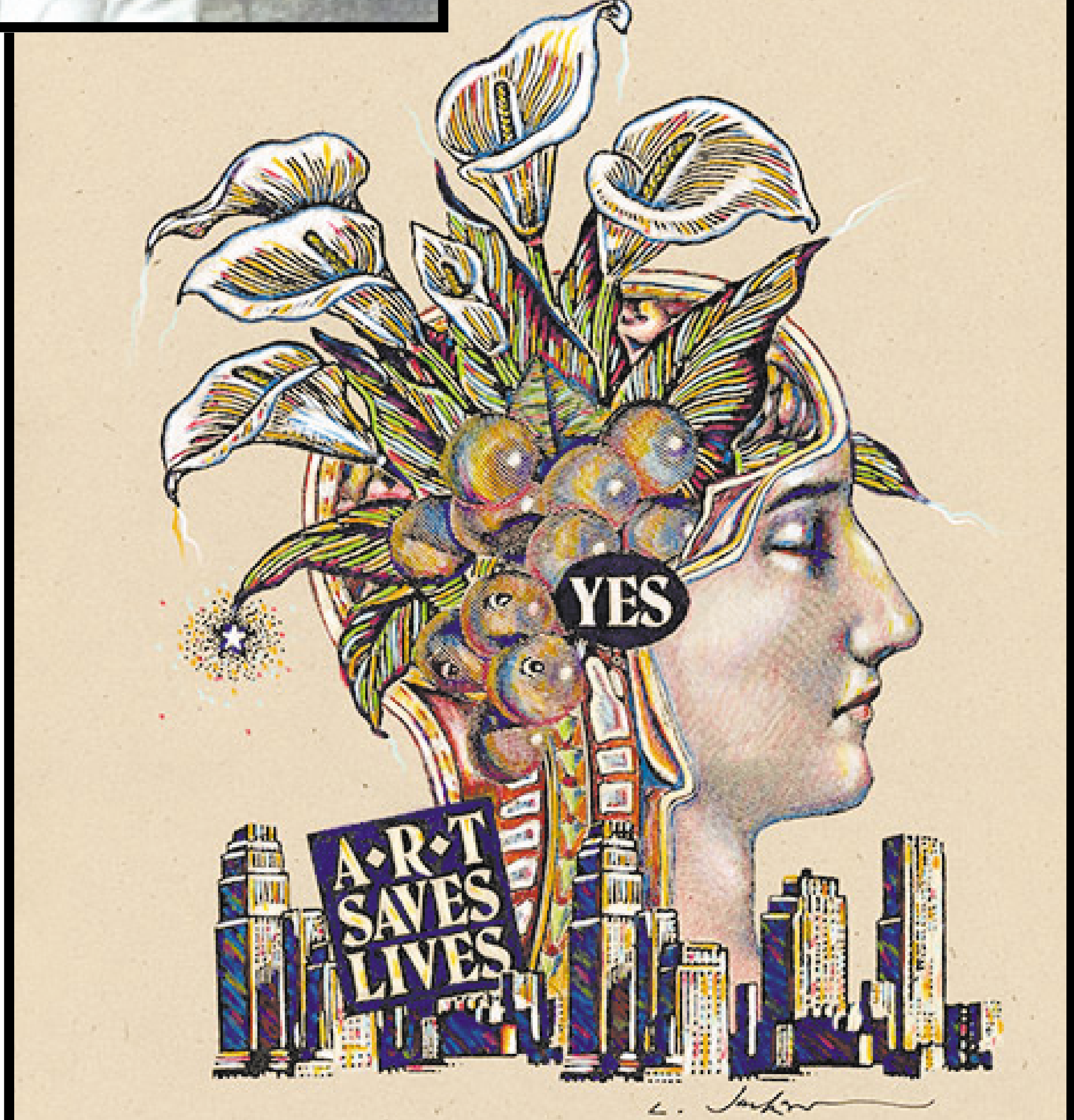
تميز عقل العلامة الدكتور نوري جعفر بالموسوعية والاهتمام بتكامل المعرفة سواء أكانت علمية ام ادبية ووظفها لمسيرة خدمة الانسان علميا ونفسيا وتربويا واجتماعيا، لقد استوعب تفكير نوري جعفر العلوم الانسانية، وشيئا من العلوم العلمية المحض ، فكانت كتبه لاتخلو من معلومات علمية وظفها لخدمة ظواهر اجتماعية او نفسية او تربوية، فهو خريج الفرع العلمي الثانوي بمعدل 94٪ ودكتوراه فلسفة من امريكا عام 1949 بعد البكلوريوس، كان رحمه واسع الاطلاع على العلوم الانسانية كالتربية وعلم النفس (مجال اختصاصه) والفلسفة والتاريخ والجغرافية والاجتماع والادب العربي القديم بخاصه وشيء من الادب الانكليزي والفرنسي الحديث في مجال الشعر والقصة والمسرحية اضافة الى المامه بجانب من الرياضيات (التي عدها اساس تقدم العلوم وتابع طرائق تدريسها في الخارج بالاضافة الى الكيمياء والفيزياء وعلوم الاحياء، وغيرها من العلوم الاكاديمية والتكنلوجية واصفا اياها بانها وليدة التطور الاجتماعي للانسان، لذلك دعا الى دراسة التربية وعلم النفس في ضوء المدارس السلوكية ـ البيئية، مفضلا اياها على المدارس النفسية الوراثية وعد المدراس الوراثية في التربية وعلم النفس غير واقعية لان اكثرها يؤمن بالتربية السلبية التي تقسم الافراد والشعوب الى قوي وضعيف، وبناء على ذلك امن بالمدرسة السوفيتية النفسية (سابقا) ممثلة بالعالم الروسي (بافلوف) في نظريتة عن الانعكاس الشرطي عام 1900، مفضلا اياها على المدرسة النفسية الاميركية ممثلة بفرويد في نظريته التحليلية النفسية عن اللاوعي والوعي وعدها سلبية كالمدارس النفسية الوراثية لانها تحد علميا واجتماعيا من تطلعات الافراد والشعوب، مما دفعه بايمان السياسي والعلمي الى دراسة ظاهرة الابداع والابتكار في ضوء الانعكاس الخارجي دارسا جذورها الدماغية واصولها الاجتماعية واستمر في دراسته 12 عاما من سنه 1962 الى عام 1974 وقرر في ضوئها ان بمقدور الطفل او الشاب او الكبير ان يكون مبدعا وان دماغ الانسان السوي فيه من الاصالة والمرونة والطلاقة ما يوصله للابداع ، بشرط ان يتعامل مع المحيط الاجتماعي بشكل سليم،، وفي ضوء ذلك قرر ان يكون للمعلم دور لا في توصيل المادة الى اذهان الطلبة فقط بل دعا الى تطويره لمساعدتهم على التفكير ولتوصيلهم الى توليد الافكار الجديدة بالاستعانة بتكنلوجيا التعليم وطرائق التدريس الحديثة التي تنمي لديهم الاستعداد على التفكير والتحليل وتشجعهم على الابداع فطالب بدخول التلفزيون والفيدو ووسائل التعليم الاخرى داخل الصف لتوصيل المادة يقول د.نوري جعفر بدأت ادرس الحالة (الموهبة) عام 1962م ـ 1974م الى ان نضج الموضوع في ذهني ومنحتني جامعة بغداد تفرغا علميا من جامعة شيفيلد البريطانيه عام 1975 م واجريت بحثا باللغة الانكليزية:

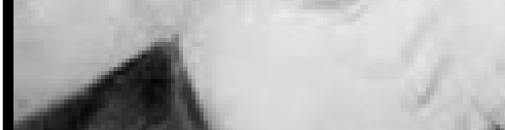
Creativity and brain mechanism

وترجمته بالعربية الابداع واليات الدماغ فتوصلت الى رأي جديد عن الابتكار وصار له صدى حسن في الاوساط السايكولوجية (الدكتور نوري جعفر واراؤه التربوية والنفسية والاجتماعية د.نجاح هادي كبه، دار الشؤون، بغداد، 2004، ص: 19 ـ 20).

توصلت الى رأي جديد عن الابتكار وصار له صدى حسن في الاوساط السايكولوجية

الدكتور نوري جعفر مع العلامة جون ديوي





ايفان بافلوف

أصل الإبداع

عن طريق بحوثه عن الابداع والابتكار فند اراء افلاطون اليوناني وعالم الوراثة البريطاني كالتون وعالم النفس المولد والبريطاني الثقافة ايزنك الذي حدد نسبة 80٪ من العوامل الوراثية التي راها تسهم في تحديد الذكاء ومن ثم فان الابداع يرجع الى المحددات الوراثية الجينية وان نسبه 20 ٪ حددها للعوامل الحضارية والاجتماعية والتربوية (د.كاظم عبد نور، مجله اتحاد الجامعات العربية، ع:33، كانون الثاني: 1998، ص: 322 ـ 323

(لقد كان العلامة الدكتور نوري جعفر ينحو منحى فسلجيا

physiological tendency)

في تفسيره لعملية االابداع بعد ان استوعب اراء ابرز منظري هذا المنحى وهو عالم الفسلجة الالماني برودمان prodmanالذي قسم فيه المخ الى مناطق متعدده لكل منها وظائف فسلجية محددة يقع بعضها فوق بعض (بخلاف التقسيم التشريحي المالوف، مخ، مخيخ، نخاع مستطيل... الخ) وعالما الفسلجة الايطالي ماكون magon وماروزي marosiاللذان اكتشفا الجهاز المشبك reticularالذي يقع اسفل الدماغ، وهو العضو المسؤول عن تنشيط الدماغ ـ بالاضافة الى ما ذكرنا انفا ـ عالم الفسلجة الروسي بافلوف Pavlovصاحب النظرية في خصائص الجهاز العصبي المركزي عند الانسان ومضامينها السايكولوجية، والعالم الامريكي كبرز kappers صاحب الاراء العلمية الحديثة في تفسير نشوء الجهاز العصبي المركزي وتطوره في المملكة الحيوانية حتى بلوغه اعلى مراتبه لدى الانسان (د.قاسم حسين صالح، نحو نظرية في الابداع، مجلة العلوم النفسية، 4: 12، مركز البحوث النفسية، جامعه بغداد، 1994 م).

المناطق المخية

ويلخص د.نوري جعفر نظريته عن الابداع والابتكار بما يلي (لقد ثبت لي في ضوء قراءه تلك المصادر ـ ان دماغ الانسان ينفرد بوجود مناطق مخية خاصة لاتشاركه فيها الحيوانات الراقية الاخر بما فيها القردة العليا القريبة منه في سلم التطور البايولوجي تسمى المناطق المخية الثلاثية:

Tertiary cortical zones

تقع خلاياها العصبية في الطبقة المخية العليا:

the first layer of the cortex

والمناطق المخية الثلاثية المشار اليها تنقسم الى حسية وجبهية من ناحية موقعها في المخ ومن حيث وظائفها الفسلجية..... فالمناطق المخية الحسية الثلاثية..... وظيفتها الاساسية القيام بعملية الادراك الحسي perceptionالناجم عن التعامل مع الاشياء المحسوسة وينفرد بها الانسان وهي بالغة الاهمية في حياه الانسان واوسع مناطقه المخية الحسية باسرها.... اما المناطق المخية الثلاثية الجبهية... فهي تمارس اعلى الوظائف الفكرية والادراك العقلي conceptionالناجم عن التعامل مع المجردات وينفرد بها الانسان وحده، وهي حديثه التكوين من الناحية النشوئية وارقى المناطق المخية عند الانسان جميعها.... وفي ضوء ماذكرنا نستطيع ان نقول ان المناطق المخية الحسية الثلاثية هي الاساس الجسمي (المادي ـ المخي) للعمل الفني الذي يدرك الانسان فيه العالم المحيط به (الطبيعي والاجتماعي) ادراكا حسيا ثم يعبر عن انطباعاته الحسية الناجمة عن ذلك تعبيرا حسيا ايضا (بالرسم او النحت او الموسيقى) وان المناطق المخية الثلاثة الجبهية هي الاساس (المادي:الدماغي) للتفكير العملي النظري وفي حقل الرياضيات والعلوم الطبيعية وهي التي تجعل الانسان قادرا على ان يدرك ادراكا نظريا مجردا.

الأصالة في الفن

هذا يعني بعباره اخرى ان الخلايا العصبية الموجودة في الدماغ والمخ وماتحت المخ، المتساوية تقريبا من حيث مقدارها لدى الافراد الاسوياء جميعا يختلف توزيعها بين مناطق الدماغ المختلفة عند الفنانين وعلماء الرياضيات والعلوم الطبيعية النظرية فيزداد كمياتها في المناطق المخية الحسية الثلاثية وفي قبال الدماغ الواقعة تحت المخ عند الفنانين، في حين ان المناطق المخية الجبهية الثلاثية والاقسام العليا من الدماغ (المخ: القشرة المخية) هي التي تتاثر باغلبية الخلايا العصبية عند علماء الرياضيات والعلوم الطبيعية النظرية " دنوري جعفر، الاصالة في مجال العلم والفن " منشورات وزاره الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية 1979(ص 35 ـ 36 ـ 46) اصدر نوري جعفر 36 كتابا مطبوعا و (5) كتب مخطوطة عدا العديد من البحوث والمقالات المتناثرة في المجلات والدوريات.

ويمكن تقسيم كتبه الى:

1 - تربوية ونفسية مثل:

- طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف / في جزئين / بغداد / مكتبة التحرير، 1978، ج 2 و ج1، بغداد، مطبعة الزهراء، 1977 م.
- دور المؤسسات التربوية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي، منشورات وزاره الثقافه والاعلام، 1983م
- اللغه والفكر، الرباط،، مكتبه التومي، 1971 م.

2 - الكتب التاريخية - السياسية منها:

- علي ومناوئوه، بغداد، مطبعة الزهراء، 1975
- الصراع بين الامويين ومباديء الاسلام، بغداد 1956م.

3 - الكتب الفلسفيه، منها:

- التاريخ مجاله، وفلسفته، بغداد، مطبعة الزهراء، 1954
- جون ديوي، حياته وفلسفته، بغداد، مطبعة الزهراء، 1952 م.

4 - الكتب التربوية والنفسية ذات الصبغة الادبية، ومنها:

- الاصالة في شعر ابي الطيب المتنبي، اصولها الدماغية وجذورها الاجتماعية في ضوء فسلجة بافلوف، بغداد، مطبعة الزهراء، 1976 م
- ادب قصص الخيال العلمي وعالم الاطفال، بغداد، دار ثقافة الاطفال ط:2، 1987م
- كتابات بين الجاحظ وجورج برناردشو وجائزه نوبل، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الصغيرة، 1990 م

5 - الكتب الفكرية، منها:

- العلوم الطبيعية واثرها في سير المدنية الحديثة، بغداد، 1955م
- التقدم العلمي والتكنلوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون، بغداد، 1985 م.

وفي الختام لابد من ان اشير الى ان العلامة د.نوري جعفر قد فصل من الوظيفة بعد عام 1963 م، مع غيره من الاساتذه اللامعين، امثال مهدي المخزومي وعلي جواد الطاهر وعبد الجبار عبد الله وغيرهم، بحسب بيان رقم (13) وكان تسلسل نوري رقم (4) وقضى البيان بحجز أموالهم المنقولةً وغير المنقولة، فسافر للتدريس إلى ليبيا ثم عاد إلى العراق بعد قرار صدر عن المفصولين السياسيين العراقيين فيما بعد، وعاد للتدريس في كلية التربية جامعة بغداد وبعد تقاعده سافر للتدريس إلى ليبيا بعد أن انتدبته الحكومة الليبية، وقبل سفره استدعته جامعه لندن لإلقاء بعض المحاضرات.

قضى جل حياته رحمه الله بين الفصل السياسي والمنفى والتدريس في المدارس الجعفرية الاهلية في العهدين الملكي والجمهوري توفي في ليبيا عام 1991 م عن عمر 77 عاما واخيرا اناشدكم ـ زملائي باسمكم ان سمحتم لي بضروره اقامة تمثال للعلامة نوري جعفر في البصره بخاصة واخر في بغداد فهذا اقل ما نوفي به لهذا الرمز العراقي والعربي والاسلامي والانساني.

هذه الورقة ألقيت في الندوة التي أقامتها جامعة البصرة يوم الثلاثاء 2012/4/19 تلبية لطلب الجمعية العراقية لدعم الثقافة / بغداد. للاحتفاء بالعلامة الدكتور نوري جعفر.